ذوو الاحتياجات الخاصة

بالمغرب والأندلس

د. نجلاء سامي النبراوي

الألوكة
www.alukah.net

ذوو الاحتياجات الخاصة بالمغرب والأندلس

د. نجلاء سامى النبراوى

الأستاذ المشارك

بكليتي الآداب والتربية للبنات بأبها

جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتناول البحث ذوو الاحتياجات الخاصة بالمغرب والأندلس حتى ق ٩هـ/ ١٥م ويتضمن: أصحاب الإعاقة الجسدية المختلفة سواء الحركية والعقلية أو النفسية وكذلك المنبوذون لأمراض معدية تعيقهم عن خدمة أنفسهم مثل المجذومين، وكذلك كبار السن كشرائح اجتماعية تواجدت فى المجتمعات الإسلامية بالعصر الوسيط سواء بالشرق أو بالغرب.

وقد تناثرت المعلومات الكافية عن ذوي الاحتياجات الخاصة فى المغرب والأندلس وصعب استقاء ما يفيد عنهم فى المصادر المختلفة من تراجم ومصادر فقه ونوازل وتصوف وغيرها، مما أدى إلى صعوبة اكتمال صورتهم إذا ما قورنت بالدراسات الحديثة – خاصة المعنية بالمعاقين – فى العصور الوسطى الأوربية.

وعلى الرغم من ذلك فإن النذر اليسير الذى أفادتنا به المصادر صراحةً أو ضمنًا يجعلنا نفتخر بأن مسلمى الغرب الإسلامى كان لهم من الريادة والتعامل الإنسانى الراقى مع ذوي الاحتياجات الخاصة ما فاق معاصريهم فى العصور الوسطى الأوربية كما سيأتى بالبحث.

وقد كانت من صعوبات البحث هو إجمال الاهتمام بهذه الفئات إجمالاً حرمنا التفاصيل فى كتابات المؤرخين إذا ما تناولوا اهتمام خليفة أو أمير بهم.

وفيما يلى عرض هذه الفئات بتقسيمات ثلاثة:

أولاً بالمعاقين ثم المنبوذين ثم كبار السن.

أولاً: المعاقون:

المعاق هو كل شخص أصبح غير قادر على الاعتماد على نفسه فى مزاولة عمله أو القيام بعمل آخر والاستقرار فيه، أو نقصت قدرته على ذلك نتيجة لقصور عضوى أو عقلى أو حسّى، أو نتيجة عجز خِلقى منذ الولادة[١]. وطبقًا لتعريف الأمم المتحدة: هو أى شخص ذكر أو أنثى غير قادر على أن يؤمّن بنفسه - بصورة كلية أو جزئية - ضرورات حياته الفردية أو الاجتماعية العادية أو كليهما بسبب نقص خلقى أو غير خلقى فى قدراته الجسمانية أو العقلية[٢].

(١) قانون تأهيل المعاقين رقم ٣٩/ ١٩٧٥.

(٢) الإعاقة ومنظومة الأمم المتحدة. www.un.org

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان المعاق فى الحضارات القديمة منبوذًا بصفة عامة، فقد دعا أفلاطون إلى إبعاد المعاقين ونفيهم خارج البلاد لأن وجودهم وتناسلهم يؤدى إلى إضعاف الدولة بمرور الوقت، وفى اسبرطة كانوا يحملون الطفل حديث الولادة إلى مكان معين ويتم فحصه من قبل كبار أفراد القبيلة فإن وجدوه صحيح البدن أمروا بتربيته وإلاّ ألقوه من أعالى الجبل، فهو يمثل عبئًا على نفسه وأهله(١).

وعند الرومان إذا وُجد فى الطفل المولود إعاقة يتم التخلص منه بإلقائه فى النهر أو تركه على قمم الجبال(٢).

وفى العصور الوسطى لم تتغير النظرة إلى المعاق كثيرًا، فقد تركوهم يعيشون وتستمر حياتهم بين أفراد المجتمع ولكنهم نبذوا بعض أصحاب الإعاقات وخاصة المرضى العقليين، فقد اعتبروهم متصلين بالشياطين أو بالأرواح الشريرة، فكانوا يلاقون معاملة قاسية من حبس وتقييد بسلاسل أو تعذيب بدنى اعتقادًا من معذبيهم أنهم بذلك يطردون الأرواح الشريرة من أجسادهم(٣).

ولا يتسع المجال بذكر ما جاء به الإسلام من احترام لآدمية الإنسان، فكان الموقف مغايرًا مع أصحاب الإعاقة، فقد دفع عنهم كثير من التكاليف الدينية ويُسرت لهم بعض التكاليف الأخرى كما وضحته كتب الفقه الإسلامى بما يحافظ على حقوقهم من معاملات بينهم وبين الناس تكاد تُلاحظ فيها الفروق بينهم وبين الأصحّاء.

وقد توقف نوع الإعاقة إن كانت جسدية أو عقلية أو نفسية فى مدى تقبل الناس للمعاق من عدمه فإن انخرط بينهم الكفيف والأبكم والأصم والمقعد وغيرهم كإنسان عادى تختلف احتياجاته وتعاملاته وظروفه وتسانده الأحكام الفقهية ويتعاطف معه

---

(١) الإعاقات عبر التاريخ www.Kenanaon.line.com.

موسى بن حسن قيان: كيف تعامل الإسلام مع المعاقين www.Saaid.net

ويذكر أن القانون الرومانى قد ميّز بين الأصم الذى فقد السمع فى طفولته عن الذى ولد أصمًا فحرمه من حقوقه المدنية وأعفاه من الواجبات ولكن لم يحرمه من الزواج.

(٢) Disability – rights – Syria. Blogspot.com

(٣) روى بوتر: موجز تاريخ الجنون، ترجمة ناصر مصطفى، مراجعة أحمد خريس، هيئة أبو ظبى للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبى ٢٠١٢. ص ١٠٩-١١٠. كلود كيتل: تاريخ الجنون من العصور القديمة حتى يومنا هذا، ترجمة سارة رجائى يوسف وكرستينا سمير فكرى، مؤسسة هنداوى، القاهرة، ٢٠١٥، ص ١٥، ١٦، ١٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجتمع على مستوى السلطة والعامّة فإن هناك بعض الإعاقات التى نفر منها الناس وفى مقدمتها الجنون أو الإصابة بأمراض معدية مثل الجذام، فقد اعتبر الجنون منذ قديم الأزل وفى الموروثات الشعبية بأنه مس شيطانى أو عقاب إلهى يستوجب البعد عن صاحبه حتى لا يتعرض الآخرون منه بأذى(١).

وأسباب الإعاقة تغفلها المصادر ولكن العيوب الخِلقية لا حيلة للإنسان فيها، فهى إما عيوب وراثية أو خلقه الله بها أو عيوب أصيب بها فى إحدى مراحل حياته ولزمته إلى نهايتها.

وقد أغفلت المصادر أيضًا دور الحروب فى ترك أصحاب إعاقة ممن أصيبوا فيها إصابات بالغة أفقدتهم أحد أعضاء الجسم، ولا شك أن هناك نسبة وإن لم تُعرف قد أصابتها الإعاقة والعاهات المستديمة جراء تلك الحروب.

وقد رصدت المراجع الأجنبية الحديثة أن الأطراف الصناعية التعويضية قد عُرفت فى أوربا فى العصور الوسطى ولكن لم يستدل عليها أو على احتمال وجودها فى المغرب والأندلس فى فترة البحث(٢).

وقد سجل صاحب الاستبصار موقف بعض المجتمعات بالمغرب من ذوى الإعاقة ومدى اهتمامها بآن تشتمل على سكان أصحاء معافين، فيروى عن بلاد غمارة أن أهلها: «يرغبون فى الرجل الجميل الشجاع أن يأخذوا منه نسلاً ولا يتركون ذا عاهة يستقر ببلدهم ويقولون أنه يفسد النسل»(٣).

كما سجلت أمثال العامّة الشعبية ما يفيد سخريتهم وتهكمهم من أصحاب العاهات، كما سيأتى لاحقًا.

وشغل المعاقون جسديًا وعقليًا ونفسيًا مساحة فى كتب الفقه والنوازل لتحديد علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية بأحكام تضمن الحقوق للجميع، فشغل الزواج

---

(١) روى بوتر: موجز تاريخ الجنون، ص ١٩، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٨-٢٩. كلود كيتل: تاريخ الجنون، ص ١٦، ١٨.

(٢) Joshua. R. Eyler: Disability in the middle ages (Reconsiderations and Reverberations), Ashgata publishing limited, England – USA, ٢٠١٠.

(٣) م.م.: الاستبصار فى عجائب الأمصار، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، الكويت، ١٩٨٥، ص ١٩٢-١٩٣. وعن غمارة: ص ١٩٠-١٩٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأحكامه والحضانة وأحكامها أهم المسائل الفقهية التى تهتم بوجود الإعاقة من عدمها لدى الأطراف المعنية بالقضايا المختلفة فقد أجمع فقهاء المغرب والأندلس على أن العيوب التى توجب الرد (الطلاق – الرجوع فى الزواج) هى: الجنون والجذام – وإن كان فى أحد الأبوين لا فى الزوج ولا فى الزوجة – والبرص، الفالج، القطع (أطراف مبتورة سواء اليدين أو الساقين) والشلل والعمى والعَوَر والصم وغيرها[١].

وتسقط الحضانة عن المرأة الحاضنة إن كانت مسنّة أو مريضة، وفى حالة العمى والصمم والقعد (الشلل) والخرس، لعدم توفر الرعاية والاهتمام وخدمة الطفل المحتضن، ويتبع ذلك الجنون والجذام والبرص والسفه فى الدين والعقل والمال (إهدار مال الطفل)[٢].

لذا شدد الفقهاء على أن الصحة لابد من ذكرها فى المكاتبات المختلفة بقولهم: «إعلم أن الصحة لابد من ذكرها فى عقود النكاح والطلاق والهبات والأجناس وفى كل ما ليس فيه عوض»[٣].

وأولى الناس بالحديث عن صحتهم الجسدية والعقلية والنفسية وتتبعها هم ولاة الأمر من خلفاء وأمراء وعمال وغيرهم، لذا نجد حرص المؤرخين فى تلك الفترة على ذكر صفات الخليفة أو الأمير الخُلقية والخِلقية فى بداية الترجمة له فى مؤلفاتهم، وغالبًا ما كانت كتاباتهم ترصد صفاتًا خلقية حسنة ونادرًا ما كتب فيها عن نقص أو عيب لحق بالخليفة أو الأمير.

والصفات الخِلقية أو الوصف الخِلقى الذى يكتبه المؤرخون له كثير من الدلائل، فعلاوة على استنتاج آصول الأمير العرقية من وصف لون بشرته وعينيه وشعره وملامحه إلا أنها – الكتابات – تؤكد وتحرص على تأكيد أصوله العربية!!.

---

(١) البرزلى: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ٢٠٠٢، ٣/ ٢٨٧.

(٢) الجزيرى: المقصد المحمود فى تلخيص العقود، دراسة وتحقيق أسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولى، مدريد، ١٩٩٨، ٨٤-٨٥.

(٣) الونشريسي: «المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق»، الباب الحادى عشر، ص ١٤٨-١٤٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما يخص البحث فى ذكر هذا الوصف يؤكد أيضًا على حرص المؤرخين إن هذا الخليفة أو الأمير يحقق بصفاته الخلقية السَويّة هذه شرطًا أساسيًا من شروط الخلافة أو الولاية وهو شرط: سلامة الحواس والأعضاء فيحرصون على أن يتناولوا ويؤكدوا بذكرهم بتلك الصفات أنه: «قد جمع من اعتدال وتناسب الأعضاء وصحتها وجودة الإدراك وحسن الفهم وذكاء العقل» ما يستوجب أهليته فى تولى أمر المسلمين(١).

كذلك أكد ابن خلدون فى مقدمته على هذا الشرط بقوله: «وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والخرس وما يؤثر فقده من الأعضاء فى العمل كفقد اليدين والرجلين والانثيين فتشترط السلامة منها كلها لتأثير ذلك فى تمام عمله وقيامه بما جعل إليه»(٢).

الكفيف:

الكفيف أو الأعمى، إحدى الإعاقات التى تناثرت فى المصادر المختلفة لشخصيات فقدت البصر بكبر السن «كف بصره آخرًا» أو منذ الصغر «كف فى حداثة سنّه» أو تكون إعاقة صاحبته منذ ولادته غير أن الغالب أن كف البصر كان يأتى بسبب التقدم فى العمر. وأيًا كان سبب الإعاقة وتوقيت الإصابة بها فإن الكفيف يدرك أن جزاءه من الله هو الجنة فيجعله ذلك متحملاً لعناء إعاقته وصابرًا عليها طيلة حياته وقد حظيت الكثير من المصادر بترجمات كثير من العلماء المتصوفة والأولياء كانوا مكفوفى البصر وذُكرت الأسباب إن وجدت(٣).

---

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص ١٢٥.

(٢) ابن خلدون: .

(٣) أطلقت تسمية ضرير وجمعها أضراء على المصابين بمرض الجذام.

القاضى عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، ط٢، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المملكة المغربية، ٨/ ٤٥، ١٣٨.

ابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، ١٩٨٩، ١/ ٩٤، ٢/ ٢٠٢، ٢٨١.

ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ط٢، تحقيق آحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص ٢٦٦-٢٦٧.

المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ١٩٨٤، ١/ ١٢٩، ٤٦٨، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥/ ١٠١، ١٦٨، ٢٠٧، ٤٦٠ (القسم الثانى)، السفر السادس ص ١٤٥. =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم تمنع هذه الإعاقة كثيرين ممن تقلدوا مناصب رفيعة فى الدولة – مثل القضاء – فالقاضى عيسى بن معاوية الإشبيلى الضرير أحد وجوه إشبيلية ولى القضاء فى عهد المنصور بن أبى عامر (٣٦٥-٣٩٢هـ/ ٩٧٧-١٠٠٢م) وكان يقول فيه «لو أعجبت ببصر لطمست الأعين» وقد ولـــى القضاء أيضًا فـــى عهـــد عبد الملك المظفر (ت ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م) على مدينتى شذونة والجزيرة الخضراء(١).

وكان من أهل الخمسين من أصحاب المهدى محمد بن تومرت، أبو عمران موسى بن سليمان الكفيف وكان الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على، يستخلفه على مراكش إذا خرج منها وقد زوّجه من ابنته زينب(٢).

وفقدان البصر له أسباب كثيرة إن ولد الشخص مبصرًا منها: نزول الماء فى العينين والذى عرف فيما بعد بمرض «الساد»(٣). وقد نالت جراحة إخراج الماء من العينين الكثير من الاهتمام فى كتب الطب الإسلامية ولا يخفى أن طب العيون فى الأندلس قد نال اهتمامًا وشهرة كبيرة فى القرنين ٦٢٥هـ/ ١١، ١٢م فظهر أطباء لامعين فى طب العيون مثل الزهراوى (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م) وابن وافد اللخمى (ت ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) صاحب كتاب «تدقيق النظر فى علل حاسة البصر» و «نزهة الأفكار فى علاج الأبصار» وكذلك الطبيب ابن زهر الإشبيلى (ت ٥٥٧هـ/ ١١٦٢م) صاحب كتاب «التيسير فى المداواة والتدبير» والغافقى (محمد بن أسلم) (ت ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م) وكتابه «المرشد فى طب العيون» أو «المرشد فى الكحل» على أن أشهرهم على الإطلاق هو الطبيب الزهراوى الذى تناول جراحة العين فى الباب الثلاثين من مؤلفه وتحديدًا القسم الثالث منه وخصص فصلاً عن جراحة الساد «الماء النازل فى العينين».

= وفى ذلك يقول الشاعر:

إنى وإن كنت أعمى فالعمى سبب ... لجنة الخلد أو جنات الفـــردوس

وقد تيقنت أنـــى قاطـــن بهما ... فنعمـــا آمنًا مـــن عرضـــه البوس

ابن بشكوال: الصلة ٢/ ٦٣٠.

(١) القاضي عياض: تركيب المدارك، ٨/ ٣٠.

(٢) ابن القطان: نظم الجمان لتركيب ما سلف من أخبار الزمان، ط٢، تقديم وتحقيق محمود مكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢١٠، هامش ٢ نفس الصفحة.

(٣) سرى سبع العيش: جراحة العين فى التراث العربى الإسلامى، مجلة التقدم العلمى، ع ٥٨، أكتوبر ٢٠٠٧. www.eajaz.oro.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك كان من عيوب الإبصار العِشاء وهو الإبصار بالنهار دون الليل وقد عرفت وصفات من طعام معين يؤكل أو وصفات موضعية من زيت الزيتون يدلك به العين أو عمل لبخات من مزيج زيت الزيتون والخبز الساخن توضع على العين لمدة ثلاثة أيام[١].

وقد تعرضت المصادر الطبية للإصابة بالحَوَل وخاصة عند الأطفال، فقد ذكر كلاً من عريب بن سعيد وابن الجزار القيروانى معالجة طريفة لحَوَل الأطفال وهى أن يسوّى موضع رأس الصبى فى المهد ويجعل بإزائه فى الليل سراج مضئ فإن كان الحَوَل مما يلى الجانب الأيمن حُوّل السراج إلى الجانب الأيسر وإن كان الحَوَل من الجانب الأيسر وضع السراج فى الجانب الأيمن مع وضع قطعة من القماش الحمراء اللون مربوطة بأذن الصبى جهة العين التى تعانى الحَوَل[٢].

ومن المواد التى كان يتم تبادلها تجاريًا لمعالجة أمراض العيون: التوتيا الزرقاء وكانت مستخدمة للكبار والصغار، فهذا أبٌ من المغرب يشكو من أن ابنته الصغيرة أصابها بياض بعينها فأجهدته الحيل ولم يترك وسيلة لعلاجها إلاّ وطرقها حتى أنه أنفق مائة مثقال ثمنًا لمثقال واحد من التوتيا الذى أرسل فى شرائه من مصر غير أنه لم يُجْد. وابيضت عيناها فأصبحت لا تبصر حتى استدل على أحد الأولياء بالقيروان الذى قام برقيتها فاستعادت بصرها مرة أخرى.

وتكررت هذه الرواية مرة أخرى فى وقت لاحق بالمدينة نفسها (القيروان)[٣].

وقد اقتصر عمل المكفوفين فى مهن محدودة جدًا لا تتجاوز التدريس أو قراءة القرآن فقد عُرف أنه «ليس للعميان إلاّ القرآن».

---

(١) الطب الأندلسى نظرياته وتطبيقه www.yebeyrouth.com .

(٢) عريب بن سعيد القرطبى: كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين، مخطوط مصور ميكروفيلم عن نسخة مخطوطة دير الاسكوريال، تحت رقم ٢٢٧، مكتبة الاسكندرية، ورقة ١١٩أ.

ابن الجزار: كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط٢، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٤، ص ٨٥.

(٣) المالكى القيروانى: رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسى المطوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٤، ١/ ٢٣٩، ٣٠٤، ٣١٩، ٢/ ٣٨٨..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كذلك كان أغلب قارئو القرآن على المقابر من مكفوفى البصر، فقد شاهد العقباني فى مدينة تلمسان أن النساء تجتمع عادة صبيحة اليوم التالى لوفاة أحدهم على «القراء العميان» ليقرأوا ما تيسر من السور صدقة على متوفاهم(١).

أو يشتغل الكفيف بدراسة علم من العلوم الدينية مثل علم الأصول(٢)، وكانت الإصابة بالعمى تغير من مسلك صاحبها الاجتماعى والمهنى فتمنعه من توارث مهنة آبائه وأجداده إن كانت حرفة يدوية، فتجعله تلك الإعاقة يتحول إلى دراسة علوم نظرية فى الغالب فرع من علوم الدين كالفقه مثلاً فيتعلمه ويعلمه ويشتهر فيه(٣).

ومنهم من يستسلم لتلك الإعاقة فلا يقوم بأى عمل أو يتوقف بعد الإصابة بها عن ممارسة عمله الحرفى الذى كان يقوم به وهو مبصر ويلزم بيته ولا يبرحه أبدًا(٤).

لكننا نجد بعض الآباء لا يعدمون الوسيلة ولا يفقدون الأمل بعد صدمتهم بإصابة أحد أبنائهم بالعمى إن ولدوا به أو أصيبوا به صغارًا فيبتدعون وسيلة تعد إرهاصًا لما يعرف الآن بطريقة برايل، فلم يتوانى أحد العلماء عن تعليم ابنه الكفيف الأكمه الحروف الأبجدية من قير (صلصال معالج) ويجعله يتعلمها ويعرفها باللمس حرفًا حرفًا ثم كلمة مشتبكة مع بعضها، فصار كثيرون يتعلمون ويقرأون باللمس(٥).

وفى المعاملات الاقتصادية وخاصة البيع والشراء تناولت مصادر الفقه الموقف من التعامل مع مكفوفى البصر بحسب زمن وطبيعة إصابته بالعمى: «والأعمى الناطق

---

(١) المراكشى: الذيل والتكملة، ج٥، القسم الأول، ص ٢٠٧، ج٥ القسم الثانى ص ٥٤٥.
العقبانى: تحفة الناظر وغنية الذاكر فى حفظ الشعائر وتغيير المناكر، نشر معهد الدراسات الشرقية بدمشق، ١٩٦٧، ص ٢٦٥.

(٢) المراكشي: الذيل والتكملة، ٥/ ٢، ص ٥٤٦.

(٣) ابن بشكوال: الصلة، ٢/ ٧٦٧ ويقول فى ذلك صاحب الترجمة (٤٣٤هـ) «ذهب بصرى فخير لى ولولا ذلك لسلكت طريقة أبى وأهلى».

(٤) المراكشى : الذيل والتكملة، ٢/ ٢٣٩-٢٤٠.

(٥) محمد أحمد الشافعى: الكثاشة الأندلسية، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، عدد ٢٩، مدريد، ١٩٩٧، المجلد الثاني، ص ٣٤.
عن ابن حزم: التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق إحسان عباس، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٩٢.
المراكشي: الذيل والتكملة، ١/ ٣٦٥ (صاحب الترجمة يقرأ باللمس)..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السمّيع على ضربين أعمى منذ ولد فهذا لا تجوز معاملته فى البيع والابتياع لجهله بالمبيع وأعمى بعد أن كان بصيرًا فيجوز بيعه وابتياعه بالصفة كبيع الشيئ الغائب»[١].

كذلك تجوز شهادة الأعمى إذا كان مغزى الشهادة بالصوت إعتمادًا على قوة حاسة السمع عنده مثل تمييز أشخاص يعرفهم بصوتهم أو كمن سمع صوت رجل يطلق زوجته وكان عارفًا بصوته فتكون شهادته جائزة ولكن لا تجوز إمامة الأعمى[٢].

وفى العموم تجوز شهادة الأعمى إذا تعلق الأمر بحاستى التذوق واللمس ولا يتعلق باللون أو الشكل كأن يشهد فى الروائح أو أنواع أطعمة وأشربه ويميز بينها فى الحلاوة أو الحرارة أو البرودة وغير ذلك[٣].

وقد طالت الإصابة بفقد إحدى العينين بعض الأمراء مثلما فقد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) إحدى عينيه فى رحلة هربه من العباسيين من الشرق إلى الأندلس فوصل إليها أعورًا.

وكان الأمير هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٩-٧٩٦م) أحولاً وأثناء ولايته على مدينة ماردة فى حياة أبيه قال أحدهم فيه شعرًا وصله بطريق الدسيسة يذكر عنه هذا العيب فأمر هشام بمجيئ الشاعر وقطع لسانه وسمل عينيه وحين علم الأمير عبد الرحمن بذلك غضب غضبًا شديدًا وكتب إليه يعنفه على ذلك[٤].

---

(١) الجزيرى: المقصد المحمود فى تلخيص العقود، ص ١٤٧.

(٢) الجزيرى: المصدر السابق، ص ٤٠٥-٤٠٦.

ابن فرحون: تبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تعليق الشيخ جمال مرعشلى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥، ٢/ ٨٢.

الونشريسى: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١، ١/ ١٥٨.

(٣) ابن فرحون: تبصرة الحكام، ٢/ ٨٢.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، ط٢، تحقيق ج.س. كولان وليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠، ٢/ ٦١.

المراكشى: الذيل والتكملة، ١/ ٥، ١٠٢-١٠٣ ترجمة ١٨٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويأخذنا ذلك إلى التساؤل هل كانت عقوبة سمل العينين إحدى العقوبات الرسمية المعروفة بالأندلس أم كانت هذه حالة فردية فرضها الموقف وشخصية المُعاقب.

وكان عامة المغاربة يطلقون على الأعور فى لهجتهم البربرية لفظة أردغال وسمى تسمية بالعربية ذاعت بين المغاربة والأندلسيين وهى الأنقر وكان المصابون يلقّبون بعاهتهم إن أصيبوا بها أو أصيب آباؤهم(١).

وشاعت بين العامّة فى المغرب والأندلس أمثالاً شعبية عن الأعمى والأعور والأحول والأنقر رجالاً ونساءً هى:

- أعمى: احترق بيتك؟ قال: طويل من رآه. (ويعنى عدم اعتراف المرء بعاهته).
- أعمى: ترى؟ قال: الله يرى.
- أعمى ويمشى فى الحرس.
- الرقص قدام العُمى مجهودان لا يرى عملُ.
- الأنقر فى بلاد العمى يسمى أبو العيون.
- أعور أخبر من أعمى.
- أحول هو أتول هو.
- أنقر هو أوقر هو.
- بيدم تقَنّع الحَوْلَ يفترق سوق الغزل.
- حَوْلَ بحولَ صحبت (صاحبة) الدار أولَ.
- لس ترد العمش بيدها ما تنفق على عينها. (أى كسب العمشاء لا يفى بدوائها).
- صاحب فرد عين ما يلعب الغبار.
- عاشت الحَوْلَ حتى رت الدَوْلَ(٢).

(١) المراكشى: المصدر السابق، ٦/ ١٩٠ ترجمة ٥٣٧ (ابن الأنقر).

(٢) الزجالى: أمثال العوام فى الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة محمد بن شريفة، وزارة الدولة للشئون الثقافية والتعليم الأصلي، المملكة المغربية، د.ت. ص ٢٠، ٢٦، ٧٢، ٧٧، ٣٩، ٨٧، ١٢٠، ١٢١، ١٢٨، ١٨٨، ٢٧٨، ٣٦١، ٣٨٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويشير مثل شعبى: «إن كان هى صدقة العمى أولى لها» والذى كان متداولاً فى مدينة مراكش المغربية التى عاش لها المؤلف (الزجالى) فترة ويعتقد المحقق محمد بن شريفة أن مثل هذا المثل له علاقة بدور أحد الأولياء وهو أبو العباس السبتى فى الدعوة إلى إعانة الفقراء والتصدق عليهم وخاصة المكفوفين ويستدل على ذلك أن ضريحه ظل من وقتها مأوى للمكفوفين من كل أنحاء البلاد وتجرى به صدقة توزع عليهم(١).

الأصم - الأبكم:

إحدى الإعاقات التى تحرم صاحبها من الكلام والسمع أحدهما أو كلاهما معًا و «قلما يوجد أبكم إلا وهو أصم»، ولم تنساه المصادر الفقهية فى كيفية تعاملاته الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فإحدى الفتاوى تبين أنه لا يجوز استغلال إعاقة أصم – أبكم فى أن يبني جاره بناءً له بغير إذنه(٢).

وكانت الإصابة بالصمم إحدى إصابات التقدم فى العمر، ولم يتخل هؤلاء عن التواجد بمجتمعاتهم والمساهمة فيها بمساهمات تفيد الناس منها المساهمات العمرانية فقد اشتهر مسجدًا يقع بمجلة الشرقيين أسفل ممر باب مدينة أغمات المغربية باسم مسجد ابن الأبكم وتكرر ذكره فى العديد من التراجم(٣).

وشغلت أحكام هؤلاء الفقهية بما يعين حياتهم الخاصة كثير من مصادر الفقه والنوازل فكان طلاق الأخرس – على سبيل المثال – أو خلعه أو زواجه أو بيعه أو شراؤه تلزمه الإشارة أو الكتابة أو بأى وسيلة يُفهم بها مقصده ومراده(٤).

وكان يشترط فى إتمام العقود الخاصة بالمعاملات الاقتصادية إن كان أحد طرفى العقد أصمًا أبكمًا، التأكد من فهم إشارة الأصم له ومنه حتى يتوفر شرط صحة العقد وضمانه.

فإن كان الأصم الأبكم بائعًا فعليه أن يشير إلى شهود العقد بمعرفته وإقراره بما باعه مقدارًا ومبلغًا وأن يؤكد على أن لا شكوى له تخص هذا العقد وبنوده ويكون ختام العقد مؤكدًا على ذلك:

---

(١) الزجالى: المصدر السابق، ص ٤١. هامش ١٥٦.
(٢) الونشريسي: المعيار المعرب، ٩/ ٥٤. ابن فرحون: تبصرة الحكام، ص ٢٣.
(٣) المراكشى: الذيل والتكملة، ١/ ٢٥٧، ٤٢٢-٤٢٣.
(٤) الونشريسي: المعيار، ٤/ ٢٦٨، ١٠/ ٢٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«شهد على إشهاد المبتاع المذكور على نفسه بما فيه عنه وعلى الفهم عن البائع المذكور بالإشارة لما ذكر عنه فيه من عرفهما وهما بحال صحة وجواز، أمر ممَّن عاين قبض البائع للثمن المذكور وذلك فى تاريخ كذا»[١].

وإذا كان المشترى هو الأصم – الأبكم يُقيّد الفهم بالإشارة عنه فيه والإشهاد على البائع الناطق، أما إذا كان طرفى العقد (البائع – المشترى) أصمّين أبكمين كتب الفهم بالإشارة عنهما[٢].

لذا تجوز المعاملات الاقتصادية من بيع وشراء وغيرها بين الأصم والأبكم وبين غيره إن كانوا بنفس الإعاقة أو أشخاص أصحَّاء منها، ولكن إن اقترنت هذه الإعاقة بإعاقة العمى فلا يجوز على الإطلاق لذلك لا تجوز فى عقود النكاح. وإن جاز زواج وطلاق الأبكم والأخرس بالكناية والإشارة[٣].

ويأخذنا الاعتقاد بعد تأكيد الفقهاء وموثقى العقود على حقوق الأصم الأبكم فى معاملاته المختلفة الاجتماعية والاقتصادية أنه ربما يكون من بين من يساعدهم متخصص فى لغة الإشارة يضمن حقوق المتعاقدين.

والأخرس الذى يسمع ولا يتكلم تجوز شهادته إذا فهمت إشارته غير أنها كانت محل خلاف فى جوازها من عدمه بين الفقهاء[٤].

وشاعت أمثالاً شعبية بين العامّة فيما يخص الأصم الأبكم منها:

- الله يعلم بما يصلى الأبكم.
- الصم والأعداء تم.
- أبكم هو أحكم هو[٥].

وأشارت المصادر إلى إصابات فى الحركة كالعرج، فعُرفت مسميات للأعرج لدى المغربة فى لهجتهم البربرية مثل: «أبيدار»، «أرجولك» وعرف متصوفة بهذا اللقب

(١) الجزيرى: المقصد المحمود فى تلخيص العقود، ص ١٤٦.
(٢) الجزيرى: المصدر السابق، ص ١٤٦.
(٣) الجزيرى: المصدر السابق، ص ١٤٧. ابن فرحون: تبصرة الحكام، ٢/ ٨١-٨٢. الونشريسى: المعيار، ٤/ ٢٦٨.
(٤) ابن فرحون: تبصرة الحكام، ١/ ١٨٩، ٢/ ٨١-٨٢.
(٥) الزجالى: أمثال العوام فى الأندلس ٢/ ٧٢، ٩٨، ١٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(أبيدار) لإصابة لزمتهم بقية حياتهم أو أن يتصف أحدهم بإعاقة والدته «ابن العرجاء» وشملت بعض الأحكام الفقهية هذه الإصابة فأجاز الفقهاء إمامة الأعرج إذا كانت إعاقته هذه لا تمنعه من القيام فى الصلاة(١).

ومن الأمثال الشعبية المنتشرة فى ذلك الوقت عن العُرج:

- أحوج من أعرج لمد ساقُ.
- بعريجة تقتضي حويجة(٢).

وشملت الإعاقة الحركية المقعدين والمصابين بالشلل إما لكبر السن أو لأسباب غير معروفة – وقتها – منذ الصغر(٣).

وإن كشفت الدراسات عن وجود أطراف صناعية أو تعويضية يستخدمها المعاق حركيًا وخاصة ما يعوض ساقه المبتورة فى الشرق فقد تعذر الوصول إلى إمكانية وجود ذلك فى مصادر المغرب والأندلس(٤) ولا يخفى ما أشارت إليه المصادر من عيوب وتشوهات خلقية بالجسم مثل: الأحدب وقصار القامة جدًا والأقزام وغيرها من عيوب(٥).

لذا نجد حرص الفقهاء وموثقي العقود الرسمية إن كانت اجتماعية أو اقتصادية على ذكر صفات المتعاقدين إن كان بأحدهم صمم أو عمى أو عرج أو برص أو آثار جدرى أو نمش وهكذا تأكيدًا على هويتهم وشخصيتهم(٦).

---

(١) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣٨١. المراكشى: الذيل والتكملة، ١/ ١٠٦، ٣٧٥، ٥/ ٥٩. الونشريسى: المعيار المعرب، ١/ ١٦٧.

(٢) الزجالى: أمثال العوام فى الأندلس ٢/ ١١٢، ١٢٩.

(٣) المالكى: رياض النفوس، ١/ ٣٠٤، ٢/ ٢٢٨. ابن بشكوال: الصلة، ١/ ٢٣٥. ابن الزيات: التشوف، ص ٢٩٥. القاضى عياض: ترتيب المدارك، ٨/ ١٣٦.

(٤) عمرو عبد العزيز منير: الأطراف الصناعية فى التراث العربى القديم، جريدة الحياة، ١٤/ ٢/ ٢٠١٤م. www.alhayat.com.

(٥) ابن بشكوال: الصلة ١/ ٢٢٩-٢٣٠، ٢٦٤-٢٦٥، ٢/ ٧٧١. المراكشى: الذيل والتكملة، ١/ ٢٧. أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتحقيق عبد الله المرابط الترغى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٨٤.

(٦) ابن فرحون: تبصرة الحكام، ١/ ٢٠٤-٢٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المجنون:

اشترك الموروث الشعبى فى الغرب الإسلامى وأوربا المسيحية فى أن الأمراض العقلية مثل الصرع والجنون – استكمالاً للحضارات القديمة – بأنه مس شيطانى أو بسبب ارتكاب خطيئة أو أن صاحبها صاحب روح ضالة(١).

وقد رصدت إحدى المصادر أن المجانين فى الأندلس كانوا يتركون فى الشوارع كمدينة طليطلة على سبيل المثال فصاحب الترجمة المتوفى فى عام ٣٧٦هـ «مر به بعض المجانين» وهو يسير فى إحدى طرقاتها(٢).

وقد انتشرت منذ القرن ٦هـ/ ١٢م البيمارستانات في مختلف المدن المغربية مثل فاس ومكناس والرباط وسلا ومراكش وطنجة وغيرها من المدن وظهرت تباعًا بعض المارستانات المتخصصة لعلاج المجانين والمختلين عقليًا منها مارستان سيدى فرج بمدينة فاس وقد تم تأسيسه فى القرن ٧ هـ/ ١٤م وكذلك مارستان محمد الغازى بالرباط المخصص أيضًا للمجانين.

والمارستان الأول حسب رواية بعض المؤرخين يقع بالقرب من سوق العطارين وسوق الحناء ويرجع بناؤه إلى الأمير يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى عندما تولى فى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م وأسند لصالحه، ثم أدخل السلطان أبــو عنان فــارس المرينى (ت ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م) زيادات كثيرة فيه وفى عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥ عندما هاجر كثير من الأندلسيين إلى مدينة فاس تولى إدارة هذا البيمارستان طبيب من بنى الأحمر يسمى فرج الخزرجى فعرف البيمارستان باسمه، حيث أدخل كثير من الإصلاحات فيه كما أدخل الموسيقى كوسيلة لعلاج المرضى به ويرى بعض المؤرخين أنه وُجد بغرناطة أيضًا مستشفى للمرضى العقليين والنفسيين وذلك فى عام ١٣٦٥م حيث بنى محمد الغنى بالله النصرى (١٣٥٤-١٣٥٩م) للمجانين والمرضى كما توصلت إلى ذلك الحفريات التى تمت فى أواسط القرن ١٩م(٣).

---

(١) المالكى: رياض النفوس، ١/ ٣٢٠-٣٢١. روى بوتر: موجز تاريخ الجنون، ص ٢٦، ٢٨، ٢٩. كلود كيتل: تاريخ الجنون، ص ١٥، ١٦، ١٨، ٢٧.

(٢) القاضى عياض: تركيب المدارك، ٧/ ٣٣.

(٣) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص ٤١٥.
جليل تباني: الطب النفسى الأول بالمغرب، ترجمة محمد إسليم، مجلة فكر ونقد، العدد ٢٩، مايو ٢٠٠٩. =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأشار المؤرخون لذلك أن البيمارستان الذى أنشأه المنصور الموحدى كان به مكان مخصص للمرضى العقليين(١).

والملاحظ رغم وجود البيمارستان الرائدة فى ذلك المجال – المغرب سبق الأندلس فى ذلك – إلا أن المجانين والمختلين عقليًا غالبًا ما كانوا يظلون فى بيوتهم مسئولون من ذويهم يرعاهم الخدم ولا يخرجون لأنه غالبًا ما كانوا ينظرون إليهم على أنه عار على العائلة ويخجلون من ظهورهم أمام الناس(٢).

ولم يعرف الأندلس المستشفيات العقلية المتخصصة إلا بعد سقوط المدن فى أيدى نصارى إسبانيا، فبنيت أول مستشفى للأمراض العقلية فى مدينة بلنسية عام ١٤١٠م (سقطت بلنسية فى عام ٦٣٦هـ/١٢٣٨م) وأطلق عليها مستشفى الأبرياء وأكد المؤرخون أنها بنيت على نفس نسق مستشفى بنيت قبلها بقرن بالقاهرة(٣).

= الحسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م، ص ٧٢-٧٣، ٧٦.

S. M. Imamuddin: Maristan (Hospitals in medieval Spain, Islamic Studies, International Islamic University, Islamabad, Vol ١٧, No. ١, ١٩٧٨, P. ٥٢-٥٣.

(١) Idid, P. ٥٣.

(٢) روى بوتر: موجز تاريخ الجنون، ص ١٠٩-١١٠.

وقد ورد فى كتاب تاريخ الجنون كيف كان يعامل المجانين والمختلين عقليًا فى بلدان أوربا المسيحية فى العصور الوسطى. كلود كيتل: تاريخ الجنون، ص ٥٥-٧١.

(٣) بنيت هذه المستشفى بجهود راهب يدعى الأب خوان Gilabert Jofre (١٣٥٠-١٤١٧) حيث نادى بحق المختلين عقليًا والمجانين فى التواجد بمكان لمنع تجوالهم بالمدينة فلا يضروا ولا يتضرروا من هجوم الناس عليهم لاعتقادهم أن أرواحًا شريرة تسكنهم وقد بناها متبرع يدى لورنزوسالوم مع تبرعات غيره من المهتمين خارج أبواب المدينة وإفتتحت فى أول يونيه ١٤١٠م وسميت مستشفى الأبرياء لأنهم شبهوا بالأطفال وقد توالت المستشفيات العقلية بعدها تباعًا فى سرقسطة عام ١٤٢٥م وإشبيليه عام ١٤٣٥م وطليطلة فى عام ١٤٨٠م وغيرها من المدن للاستزادة.

- Ruben R. Rumbant: The First psychiatric hospital of the western world, the American Journal of psychiatry, vol. ١٢٨, No. ١٠, ١٩٧٢, pp. ١٣٠٥-١٣٠٩.
- Lopez Ibortt: Actas Espanolas de psiquiatria, ٢٠٠٨, p. ٣٦.
- Jesus perez, Rass J. Bladessarini: Origin of Psychiatric hospitalization in the medieval spain, psychiatric quarterly, vol ٨٣, issue ٤, December ٢٠١٢, pp. ٤١٩-٤٣٠.
- The history of mental health (Father Jofre ١٤٠٩). History of Mental Health. Com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتجدر الإشارة إلي أن الوزان قد شاهد بيمارستان فاس وأكد أن به حجرات خاصة بالحمقى[١].

وكان المجنون يطلق عليه فى عامية المغربة لفظة «أمسطوط» أو «أمسوط» ومنها سطى وتعنى مختل العقل فى اللسان الدارج[٢].

وظن بعض العامة أن الجنون أو اختلال العقل يمكن أن يحدث بتناول أطعمة وأشربة ما، فيذكر صاحب الاستبصار أن هناك بئر يقع داخل سور مدينة طرابلس يصيب من يشرب منه بالحمق ويسمى هذا البئر بئر أبى الكنود ويقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه لا عتب عليك لأنك شربت من بئر أبى الكنود»[٣].

وبالتبعية لحق السفه بالخلل العقلى والنفسى، فضرر السفيه أنه يقوم بأعمال تضره وتضر المحيطين به كأن يبيع عينًا من ممتلكات دون قيمتها وحين يصل الأمر إلى درجة خطيرة من الضرر والإيذاء بنفسه أو بغيره يضطر الأهل إلى التحجير عليه بموافقة الفقهاء لذلك انتشرت مثل هذه العقود التى تسفه أحدهم بعد ثبوت ذلك ونص أحدها:

«شهود هذا الكتاب يعرفون فلانًا بعينه واسمه معرفة كافية ويعملونه مبذرًا لماله متلفًا له فى غير مصلحة دنيا وأخرى سفيهًا فى أحواله غير ناظر لنفسه ولا حزم فى شيئ من أموره ممن يستحق الضرب على يده والحجر عليه فى ماله وإلزامه ثقاف الولاية، على هذه الحال عرفوه وبها ضروه لم ينتقل عنها ولا تبدل بها سواها فى علمهم إلى حين إيقاعهم لشهادتهم فى هذا الكتاب»[٤].

---

(١) الوزان: وصف إفريقية ١/ ٢٢٨..

(٢) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف، ص ٤٣٢.

(٣) م.م.: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١١٠.

(٤) الجزيرى: المقصد الممود فى تلخيص العقود، ص ٤١١، ٤١٣-٤١٤.
الونشريسى: المعيار، ٦/ ٩٣، ٩/ ٤٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثانيًا: المنبوذون لأمراض معدية: (المجذوم)(*):

رصدت كتابات الجغرافيين والرحالة وكتب التراجم كثير من الأماكن التى اشتهرت بتواجد المجذومين والأماكن المخصصة لهم فيها والتى انتشرت فى شمال إفريقية وجنوب إسبانيا فى العصر الإسلامى ولم تعرف قبلها(١).

ففى مدينة القيروان حاضرة دولة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ) عرفت «دمنة القيروان» أو دار الجذماء والتى تسجل اهتمامهم بالمجذومين ورعايتهم ووعيهم الصحى وكانت هذه الدمنة بمثابة بيمارستان ويقع بأحد أطراف المدينة، غير أن دمنة هى الأشهر لهذا المكان وقد تم الاستدلال على التخطيط المعمارى للدمنة فقد كانت على شكل مربع لها باب واحد كبير يفتح على سقيفة وعلى جانبى السقيفة غرفتان صغيرتان يسكنها حراس الدمنة وبطول السقيفة يمنيًا ويسارًا مصطبتان ملتصقتان بالجدار الأصلى مخصصة لجلوس من يزور المرضى وفى آخر السقيفة باب ثان أصغر من سابقه يؤدى إلى صحن متسع مكشوف ويحيط بجوانب الصحن الثلاثة أروقة معقودة الأسقف ومن ورائها عدة حجرات صغيرة لإيواء المرضى.

ومنن جهة أحد الأروقة يوجد باب مستقل يؤدى إلى دار واسعة تحتوى على حجرات تسمى هذه الدار بدار الجذماء بها حمام مخصص لهم(٢). وقد أشار المالكى

(*) الجذام: مرض معدى مزمن يسببه جرثومة تسمى المتفطرة الجذامية التى تتكاثر ببطء شديد مسببة تلفًا تدريجيًا ودائمًا بجلد المصاب به وأعصابه وأطرافه وعينيه وهو مرض ينتقل عبر رذاذ الأنف والفم منظمة الصحة العالمية، مركز وسائل الإعلام (الجذام) سبتمبر ٢٠١٢م.

www.Who.net

وقد عرفت أول مؤسسة للجذام فى العصر الإسلامى هى مجذمة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) والتى بناها فى دمشق عام ٨٨هـ ثم تعددت بعد ذلك وكذلك كانت بداية تأسيس بيمارستانات الأمراض العقلية فى عهد الأمويين.

Herbert. C. Covey: people with leprosy (Hansen's disease) during the middle ages, The Social Science Journal, Vol ٣٨, ٢٠٠١, pp. ٣١٥-٣٢١.

Micheal W. Dols: The leper in medieval (on) Islamic Society, Speculum. Vol. ٥٨, No. ٤, published by Midieval Academy of America, ١٩٨٣, p. ٩٠٧.

(١) Micheal W. Dols: The leper in medieval (on) Islamic Society, Speculum. Vol. ٥٨, No. ٤, published by Midieval Academy of America, ١٩٨٣, p. ٩٠٧..

(٢) Ibid, p ٩٠٧..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيروانى بأن بعض المتصوفة كانوا يقومون بزيارة المجذومين «يطعمهم ويدهن رءوسهم ويعزيهم»[(١)].

وعلى بعد ميل ونصف من مدينة الحامّة تنبع عين ماء ساخن جدًا يتجمع ماء هذه العين عند شمال المدينة مكونًا بحيرة أطلق عليها بحيرة المجذومين حيث يقيم عدد كبير منهم فى أكواخ حول البحيرة.

ومن خصائص هذا الماء أنه يبرئ من داء الجذام وذكر الوزان سبب ذلك أنها تحوى نسبة عالية جدًا من عنصر الكبريت[(٢)].

وسجل البكرى أنه بخارج مدينة تونس يقع «ربض المرضى» وهو مخصص للجذماء[(٣)].

كذلك كان هناك ربض بخارج مدينة فاس يسكنه المجذومون وانتشرت حارات الجذمى خاصة فى عصر الموحدين وكانت خارج أسوار المدن، ففى مدينة فاس كانت حارتهم تقع خارج باب الخوخة الذى كان يعرف بباب الكينسية المؤدى إلى مدينة تلمسان بالمغرب الأوسط، وقد بنى هذا الباب الخليفة الموحدي الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٩-١٢١٣م) حيث جدد سور المدينة فى عام ٦٠١هـ، ثم انتقل المجذومون فى زمن المجاعة التى استمرت من عام ٦١٩ إلى عام ٦٣٧هـ إلى الكهوف التى خارج باب الشريعة – أحد أبواب المدينة – إلى أن نقلهم عامل الأمير المرينى يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) إلى كهوف برج الكوكب

---

(١) المالكى: رياض النفوس، ٢/ ٢٠١، البرزلى: جامع مسائل الأحكام، ١/ ٢٩١، ٣/ ٢٢١، ٥/ ٤١٤-٤١٥.

(٢) الحامّة: من بلاد قسطيلية التابعة لبلاد الجريد، أهلها من بقايا الروم الذين أسلموا عند الفتح، وهى مدينة لها أرباض واسعة يسكنها الناس ومياه هذه المدينة كلها حامّة حارة تشتهر فى بلاد الجريد كلها بالعنب الجيد.
م.م.: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١٥٧-١٥٨.
الوزان: وصف إفريقية، ٢/ ٩٢ وذكر الوزان أن عدد دور المجذومين فى عهده بذلك الربض وصل إلى مائتى مجذوم.

(٣) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد المغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.، ص ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بخارج باب الحبيسة من أبواب عدوة القرويين بعدما اشتكى الناس أن المجذومين يستخدمون معهم مياه نهر قريب من فاس مما يضر بهم[١].

وفى مدينة مراكش وجدت حارة الجذماء بخارج سورها بالقرب من باب أغمات وقد ظهرت هذه الحارة فى القرن ٦هـ/ ١٢م حسبما أشارت إليها المصادر والتراجم، وتكونت لهذه الحارة رابطة أطلق عليها رابطة الغار كان يسكنها متصوفة أصيبوا بداء الجذام منهم الشيخ أبو عصفور يعلى بن وين يوفن الأجذم (ت عام ٥٨٣هـ) وتلميذه الشيخ أبو يعقوب يوسف بن على المبتلى (ت ٥٩٣هـ) الذى دفن بهذه الرابطة[٢].

وقد رصدت كثير من الترجمات لمجذومين متصوفة فى كتب التراجم وغيرها[٣].

وتواجد مجذومون فى مدينة سلجماسة وكانوا يعملون ككنافين (منظفى مراحيض)[٤].

وقد اهتمت السلطة بإنشاء بيمارستان لهم حيث أنشأ الخليفة الموحدى أبو يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ) (١١٨٤-١١٩٩م) بيمارستانًا بمدينة مراكش خاصًا بالمرضى العقليين والعميان والمجذومين[٥].

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، اعتنى بتصحيحه وطبعه وترجمته كارل يوحن تورنبرغ، دار الطباعة المدرسية، أو بسالة، ١٨٤٣م، ص ٣٠-٣١.

الوزان: وصف إفريقية، ١/ ٢٨٧.

(٢) ابن الزيات: التشوف، ص ٢٦٧-٢٦٨، ٣١٢، ٣٤٨.

(٣) المالكى: رياض النفوس، ٢/ ١٤١. ابن الزيات: التشوف، ص ٢٢٧. المراكشى: الذيل والتكملة، ١/ ٤٩. وقد أورد المالكى أن متصوفًا دعا على نفسه بأن يصيبه الجذام حتى تتوقف إمرأة عن ملاحقته فكان له ما دعا به. رياض النفوس، ١/ ٣١٨.

(٤) البكرى: المغرب في ذكر بلاد المغرب، ص ١٤٨.

م.م.: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ٢٠٢.

(٥) المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، نسخة غير موافقة للمطبوع (ترقيم آلى)، ص ١٣٩-١٤٠ www.al-mostafa.com وقد ذكر المراكشى أن الخليفة عبد المؤمن بن على كان قد عهد فى حياته بولاية العهد إلى ابنه الأكبر محمد ولكن بيعته لم تتم ولم يتول الخلافة بعد وفاة أبيه لإدمانه شرب الخمر واختلال رأيه كما أنه «كان به ضرب من الجذام». المعجب، ص ١١٢ (ترقيم آلى).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واهتم ولاة الأمر بأن تكون سكنى المجذومين دومًا بخارج أسوار المدن وباتجاه الرياح الخارجة من المدينة وليس العكس حتى لا ترتد الرياح لأهل المدينة الموجودين داخلها فيتضرروا ويكون استخدام المجذومين للمياه بعد أن يخرج من المدينة(١).

وعرف أهل بلاد الجريد علاجًا لمرض الجذام فيقول صاحب الاستبصار ما نصه: «ولا يجذم أحد ببلاد الجريد وإن دخلها مجذوم توقفت عنه علته .. ويقول أهل بلاد الجريد أن المر إذا أكل أخضرًا وهو الذى يسمى البهر يفعل ذلك وأنه من بدت به علة الجذام فأكثر من أكل البهر وطبخه وشرب مائه برأ بإذن الله»(٢).

تؤكد الدراسات أن المجذومين كانوا مسئولين بشكل أو بآخر عن تعقب أى شخص يصاب بالمرض ومسئولون أيضًا عن إقامته بمجتمعهم – وخاصة فى مدينة فاس – وعندما يتوفى المجذوم فإن نصف ماله يذهب إلى رفاقه والنصف الآخر إلى من تولى رعايته والاهتمام به(٣).

ويرى الدارسون والمتخصصون أن مرض الجذام قد انتقل من الشرق إلى أوربا أثناء الحروب الصليبية وكذلك ظهر فى شمال إفريقية(٤). وفيما يخص الأندلس، فقد وصفها المقدسى بأن: «الغالب على الأندلس البرد كثير المجذمين والخصيان والثقلاء»(٥).

عرفت حارة الجذماء بمدينة قرطبة حيث تواجدت على الضفة اليسرى للنهر الكبير الذى يقابل المدينة، وفى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الأموى (٣٠٠-٣٥٠هـ) تم نقلهم إلى مُنية عجب قبل عام ٣٢٩هـ/ ٩٣٩م) وقد اختفت المعلومات

---

(١) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٣١.

Micheal. W. Dols: The Leper in medieval Islamic Society, p. ٩٠٧.

(٢) بلاد الجريد: سميت بذلك لكثرة النخيل بها وهى مدن كثيرة وأقطار واسعة وعمائر متصلة، كثيرة الخصب والتمر والزيتون والفواكه وجميع الخيرات وهى آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء، أولها من جهة الساحل مدينة قابس وآخرها مدينة درجين.

م.م.: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص ١٥٠، ١٥٩، ١٦٠.

(٣) الوزان: وصف إفريقية ١/ ٢٧٨.

Micheal. W. Dols: The Leper p. ٩٠٨.

(٤) Jose Terencio de las Aguas: Historia de la lepra en Espana, Historia de la dermatologia, Loca Izador web, ٢٠٠٥, p. ٤٨٥..

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٣، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٤٢.

عنها بعد ذلك لكن بعض المؤرخين المحدثين يرجح أنها استمرت حتى سقوط مدينة قرطبة فى أيدى نصارى إسبانيا عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م[١].

وعجب هذه إحدى زوجات الأمير الحكم الأول الأموى (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) وقد كانت المنية عبارة عن بستان كبير فى الضاحية الغربية لقرطبة وعرفت كمؤسسة خيرية لها وقف تذهب إيراداته لمساندة المجذومين الموجودين فى الأماكن المنعزلة بالمدن الأندلسية والتى تأكد وجود عدد منها فى القرن ٩، ١٠م (٣، ٤هـ)[٢].

وقد أشارت كتب النوازل الفقهية إلى مكان هذا التجمع الموجود «بعدوة نهر قرطبة» وأشارت أيضًا إلى أن العامة كانوا يساهمون فى مساندة المجذومين ودعمهم ماديًا من خلال وصياتهم أو بتحبيس محصول بساتينهم للإنفاق عليهم.

فقد أوصى أحدهم بأن يوزع من ماله وممتلكاته بعد الوفاة على «الجذمى والقطع بحضرة قرطبة» وقام آخر بتحبيس غلة أرضه على الجذماء تحديدًا.

وحدث أن أوصى أحدهم بحبس على ولده فلم يكن له عقب وتوفى وأوصى الفقهاء برجوع الحبس للمرضى والمجذومين والعميان بغرناطة والنازلة بذلك تؤكد تواجد تجمع لهم فى مدينة غرناطة[٣].

ذكر القاضى عياض أنه عرفت حارة للجذماء بمدينة طليطلة موجودة خارج أسوارها ففى إحدى الترجمات مر صاحبها وصديقه وهما خارجين من المدينة «على ربض الجذماء» وقد توفى صاحب الترجمة فى عام ٤٥٦هـ مما يعنى وجودها فى القرن ٥هـ/ ١١م[٤].

وذكر ابن الخطيب ربضًا للمجذومين بمدينة مالقة بقوله: «كيف لا يتعلق الذام ببلد يكثر به الجذام، محلة بلواه آهلة» ويعنى أن عددهم بالربض كان كثيرًا[٥].

---

(١) القاضى عياض: تركيب المدارك، ٦، ٨٧، ٩٠.

(٢) Historia de la lepra, p. ٤٨٦.

(٣) البرزلى: جامع مسائل الأحكام، ٥/ ٣٥٤، ٤٥٤.
الونشريسى: المعيار، ٦/ ٥٠٦، ٧/ ١٨٦، ٩/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٤) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ٨/ ١٥٢-١٥٣.

(٥) ابن الخطيب: معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩١.

على أن أشهر بؤر الجذام فى الأندلس فى ق ٣، ٤هـ/ ٩، ١٠م كانت فى مدينتى بلنسية ومرسية[١].

وتجدر الإشارة إلى أن المستشفيات المتخصصة التى تأوى المجذومين لم تعرف إلا بعد سقوط المدن الأندلسية فى أيدى نصارى إسبانيا وكثر عددها منذ عام ١٢٥٤م فتأسست فى إشبيلية عام ١٢٩٨م ومالقة عام ١٤٩١م وميورقة وبلنسية وكانت المستشفيات هذه بمثابة أماكن احتجاز يطلق عليها Lazaratos وعلى الجانب المسيحى فى مدن أوربا الأخرى كان المجذومون يجبرون على ارتداء ملابس معينة حتى يحذر الناس منهم ويكونوا معروفين بينهم كملابس لها أكمام طويلة مقفولة عند المعصم وقفازات طويلة وكمامات على الوجه أو قلنسوات وأردية سوداء مرسوم عليها صلبان أو حرف L (أول حرف من كلمة مجذوم). وتكون باللون الأصفر على صدره كما أجبروا إرتداء أحزمة بأجراس تصدر أصواتًا تدل عليهم أثناء تحركهم[٢].

كان المجذومون فى أوربا المسيحية يعاملون معاملة قاسية فى كثير من الأحيان ويتعرضون للموت بقرارات من ملوكهم بطريقة وحشية، فقد قام الملك فيليب الخامس ملك فرنسا (١٣١٦-١٣٢٢م) بجمعهم وحرقهم أحياء وأمر التكرار ذلك إن وجدوا وكذلك فعل الملك تشارلز الخامس[٣].

وقد اختلط أحيانًا عند العامة وفى كتب الفقه والحسبة بين الجذام والبرص واعتبره كل منهما مرض منفر يمنع صاحبه من الاختلاط بالناس والتعامل معهم.

فقد أكد الفقهاء أنه ينبغى على المجذوم إن كان له مال أُمر أن يشترى لنفسه من يعينه على تلبيته احتياجاته وإن يلزم بيته ولا يخرج منه وإن لم يكن له مال أخرج من بيته – إن لم يكن فيه حق – خوفًا على باقى سكانه – وينفق عليه من بيت المال[٤].

---

(١) Historia de la lepra, p. ٤٨٦.

(٢) Ibid, p. ٤٨٧.

وكلمة Lazarette : كلمة ذات أصل لاتيني تعنى الأبرض أو المجذوم حيث كانت الدولة الرومانية تبالغ فى الحجر على المجذومين يخضعونهم في الحجر مدى الحياة، ويعتقد أنها تحولت إلى اسم المكان المحتجز به هؤلاء المجذومين

Merbert C. Covey: People with leprosy, p. ٣٢٠.

(٣) Ibid, p. ٤٨٦.

(٤) البرزلى: جامع مسائل الأحكام، ٣/ ٢٢١، ٢٢ (ماجل المجذومين بالقيروان).
الونشريسى: المعيار المعرب، ٦/ ٤٢٢.

وعليه فإن أوجه الإنفاق على المجذومين كانت متعددة منها ما تخصصه السلطة من بيت المال وما كان يقوم به العامّة من إسهامات.

اختلف الفقهاء فيما بينهم فى إخراج المجذومين من الحاضرة لناحية منها أو لا ولكن الواضح من العرض السابق أن الأمر قد حسمته السلطة برغبة الناس بوضعهم خارج المدن مراعاة لعدم انتشار العدوى بين الأصحاء وتبعًا لذلك منعوا من الاختلاط بالناس والاستقاء من مورد ماء واحد وأن تجعل لهم أوانى خاصة بهم كنقل الماء من مورد الماء إلى أوانيهم ويخصص لهم رجالاً يقومون بتلك المهمة[١].

وعلى مستوى التعامل التجارى منع المجذوم من مخالطة الناس بالأسواق والبيع لهم، فمنع من بيع الزيت واخل وأى أطعمة ومنع من بيع لبن غنمه وجبنها وبيض دجاج يقوم بتربيته كما منع من بيع ملابسه المستعملة فى حين لم يمنع المصاب بالبرص من ذلك ولا من عمل الأشربة والمعاجين بنفسه وبيعها[٢].

وقد شاعت أمثال شعبية عند العامة عن المجذومين منها:

- إذا ريت المبتلى اطلب من ربك العافية.
- قيل للمجذوم اغسل يدك قال: ما بعد الجذام علة[٣].

ولإخفاء علة البرص عن رجل أو امرأة وخاصة عند الزواج أو عند بيع عبد أو جارية مصابة به، كان النخاسون يعمدون إلى بعض الحيل لإخفاء البرص حيث يغرزون فى مواضع البرص بالإبرة ويخضبون عليه القلقديس والعفص والزنجار من كل واحد جزء معجونًا بماء ولبن التين أربعة أيام فى الشمس فيبقى مصبوغًا. أربعين يومًا ويغسلون ذلك الخضاب بخل وأشنان مغلى أو بماء القلى»[٤].

---

(١) البرزلى: جامع مسائل الأحكام، ٣/ ٢٢١.

(٢) البرزلى: المصدر السابق، ٣/ ٢٢١. الونشريسى: المعيار، ٦/ ٤٢١-٤٢٢.

(٣) الزجالى: أمثال العوام فى الأندلس، ٢/ ١٠، ٢٣ مثل ٧٩ (هامش).

(٤) السقطى: كتاب من آداب الحسبة، نشره وترجمه إلى الفرنسية ج. س. كولان وليفى ووفنسال، مكتبة أرنست لوروا، باريس، ١٩٣١، ص ٥٢.

القلقدس: هو المعروف بالزاج الأبيض وهو مركب كبريتات الزنك والعفص هو ثمار شجر البلوط ويستخدم لعلاج الأمراض الجلدية.

أما الزنجار فهو مادة خضراء نتاج تفاعل حامض الخليك مع النحاس وله أنواع منها المجرود والمدود ويستخدم كدواء للعين كما يستخدم لمنع القروح الخبيثة من الانتشار بالجسم. =

نوهت كذلك كتب الحسبة على أن كثيرين كانوا يدعون الإصابة بإعاقات مختلفة ويمشون فى الأسواق والطرقات بغية التسول فيذكر الجرسيفى:

«وكذلك يتفقد الذين يتخبطون فى الأسواق ويوهمون الناس أنه صرع وتستخبر ذلك منهم وكذلك أصحاب الأورام والقروح البشيعة ومن يتعلق مصرانه من جنبه والذى يصبح بوجع الحصا والذى يُظهر أنه مقعد والذين يقرحون أيديهم ويوهمون الناس أن ذلك كله بلاء نزل بهم وهم يكذبون وذلك كله منهم حيلة لأخذ أموال الناس بالباطل فيجب على صاحب الحسبة أن يقف ذلك كله على الصحة ويعاقب من تحيّل منهم بتلك الحيلة»[1].

ثالثًا: كبار السن:

تضمن المحتاجون إلى المساندة والرعاية والاهتمام فئة المسنين، فكثير من أصحاب المناصب فى الدولة حينما يصلون إلى السن التى يعجز معها القيام بمهام المنصب وأحيانًا يكون ذلك مصحوبًا بإعاقة أو علّة حركية أو نفسية تعيقه عن استكمال عمله، كانت السلطة تعفيه عن هذا المنصب ويسجل كتاب التراجم هذا الحدث إما مصحوبًا بالسبب الصحبى أو غير مصحوب له: «استعفى لكبر سنه».

والاهتمام بالشرائح التى تحتاج إلى الرعاية والمساندة يتأكد معه دخول هؤلاء من ضمن عناية أولى الأمر فى الدولة وإن لم تفسر المصادر ذلك، ولكن نجد نص ابن مرزوق من بين النصوص النادرة التي توضح اهتمام الأمير المرينى أو الحسن.

هذه الفئة فيقول:

= والقلى هو ما احترق من نبات الأشنان المستخدم كغاسول موسى الإسرائيلى القرطبى: شرح أسماء العقار، تحقيق ماكس مايرهوف، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٠، ص ٦، ٢٤، ٣٧، ١٤٠، ٢٩٥، ٣٤٥.

ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ١/ ٣٢٦ (ترقيم آلى) www.Alwarrag.com

نجلاء النبراوى: التقويم المصرى فى الأندلس فى عصر الخلافة (دراسة فى تقويم قرطبة)، مجلة كلية الآثار، جامعة جنوب الوادى، عدد ٢٠٠٩، ص ٢٢-٢٣ (صناعة الزنجار فى الأندلس).

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ٧/ ٢٩٨، ٨/ ٣٢-٣٣، ١٩٩.

ابن بشكوال: الصلة، ٢/ ٦٩٢. المراكشى: الذيل والتكملة: ٢/ ٢٦-٢٧. أشعار ذكرها المركشى فى فقد الشباب (٢/ ٤)/ ٨٧-٨٨.

«وقد أجرى على من اتصف بالشياخة من الضعفاء ولازم الخير رواتب تكفيهم ورسمهم فى جرائد عمالة شيوخ الجامع وبنى لهم دورًا شبه الربط كما قدمنا وأجرى لهم كساء فى كل عام تكفيهم»[١].

وظهر الاهتمام بهم أ:ثر ما ظهر فى كتب الطب فذكرت الأمراض التى يصاب بها المسنّون وكيفية معالجتها وكذلك كيف تكون رعايتهم الجسمانية والنفسية متلازمة مع بعضها، وقد ظهرت تلك المؤلفات إما التى تضمن مع كتاب الطب أو تفرد وحدها تحت اسم «تدبير المشائخ أو المشايخ».

فتدبير المشايخ يعنى العناية بغذائهم وشرائهم ورياضتهم، والمشايخ صنفان بحسب السن: من هم بأول الشيب ومن هم وصلوا إلى الهرم ولكل منهما عناية ومعاملة خاصة[٢].

وفى مخطوطة محفوظة بدير الأسكوريال مأخوذة من مؤلف ابن سينا: «القانون فى الطب» تحت اسم «رسالة فى تدبير المشايخ» لمجهول وهو مقسم إلى ستة فصول (كما فى مؤلف ابن سينا) تتناول قول كلى فى تدبير المشايخ.

- تغذية المشايخ
- شراب المشايخ
- تفسيح سدد المشايخ
- دلك المشايخ
- رياضة المشايخ[٣].

---

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص ٤٢٧.

(٢) سعيد بن هبة الله: كتاب خلق الإنسان، تحقيق كمال سامرائى، دار الشئون الثقافية «آفاق العربية»، ١٩٩٠، ص ١٥٢.

ابن الخطيب: الوصول إلى حفظ الصحة ف الفصول ضمن كتاب والطب والأطباء فى الأندلس (دراسة وتراجم ونصوص، تحقيق محمد العربى الخطابى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٨، ٢/ ٢٣٦.

(٣) م.م.: رسالة فى تدبير المشايخ، مخطوط مصور عن: موقع يوسف زيدان للمخطوطات:
Nanus Critos Arabes No. ١١١٨.

من ورقة ٢٩٠ إلى ورقة ٢٩٥.

والفصل الأول : (قول كلى فى تدبير المشايخ) فهو عن إرشادات عامة عن كيفية العناية بالمسنين.

«جملة تدبيرهم استعمال ما يرطب ويسخن معًا من إطالة النوم واللبث فى الفراش.. ومن الأغذية والاستحمامات والأشربة .. وإدامة إدار بولهم وإخراج البلغم .. الدلك المعتدل فى الكمية والكيفية مع الدهن.. ثم المشى أو الركوب إن كانوا يضعفون عن المشى.. ويجب أن يتعهدوا الطيب من العطر كثيرًا وخصوصًا الحار باعتدال.. وأن يتمرخوا بالدهن بعد النوم فإن ذلك ينبه»[١].

أما الفصل الثانى فعن بتغذية المسنين:

«يجب أن يفرق الغذاء للشيخ قليلاً قليلاً ويغذى فى كرتين ثلاث بحسب الهضم».

والفصل الثالث يختص بالمشروبات الملائمة لكبار السن والتى تساعد على الهضم[٢].

وفى الفصل الرابع يتناول العناية بالجهاز الهضمى أيضًا وأن تتم عملية الهضم بصورة طبيعية «واستعمالهم شراب العسل ينفعهم ويؤمنهم حدوث السدد أو وجع المفاصل»[٣].

والفصل الخامس فى التدليك، لمرونة مفاصلهم واسمرار وظائفهم الحركية:

«يجب أن يكون معتدلاً (الدلك) فى الكم والكيف غير معترض للأعضاء الضعيفة .. وإن كانت الدلك ذا مرات فليدلكو فى المرات بخرق خشينة أو أيد مجردة فإن ذلك ينفعهم ويمنع نوايب علل أعضائهم»[٤].

والفصل الأخير فى رياضة المشايخ حيث قسم الأطباء والمهتمون برعاية كبار السن الرياضة إلى قمسين:

الرياضة الفوقانية والرياضة السفلية وكل منهما تمارس بحسب وجود منطقة العلّة أو الألم بطريقة عكسية.

---

(١) رسالة فى تدبير المشايخ ورقة ٢٩٠ ب.

(٢) المصدر السابق ورقة ٢٩١أ، ب ٢٩١ أ، ب، ٢٩٣ ب.

(٣) المصدر السابق ورقة ٢٩٤ أ.

(٤) المصدر السابق ورقة ٢٩٤ ب، ابن الخطيب: الوصول، ٢/ ٢٣٧.

«إن كانت الآفة ناحية الوسط كالطحال والكبد والمعدة والأمعاء وافقتهم كلتا الرياضين إن لم يمنع مانع» و «إن كانت الآفة إلى جهة الرجل استعملوا الرياضة الفوقانية» و «إن كانت الآفة من ناحية الصدر فلا يوافقها إلا الرياضة السفلية»[١].

وفى تلك النصوص توضيح كامل بأهمية ممارسة الرياضة ووجود ما يناسب كل سن فى تلك الفترة ولكن القاعدة العامة الخاصة برياضة المشايخ ثنية على ضرورة معرفة كل حالة ومدي ما يلائمها «رياضة المشايخ تختلف بحسب اختلاف حالات أبدانهم وبحسب ما يعتادهم من العلل وبحسب عادتهم فى الرياضة»[٢].

كذلك اهتمت المصادر الطبية بضرورة مراعاة نفسية المسن، فينبغى من حين لآخر أن يخرجوا من بيوتهم وليستنشقوا الورود والرياحين والبخور وخاصة أنواع معينة تتناسب معهم كالنرجس والعود. كذلك يراعى أن يكونوا بعيدين عن أى منغصات تكدرهم وتؤثر على حالتهم النفسية بالسلب فيذكر الأطباء بوجوب أن: «يتوقوا الأحداث النفسانية لأنها تحل قواهم وربما حدث لهم من أجل ذلك الاغراق بها والغشى والموت فجأة»[٣].

وعكست الأمثال الشعبية على لسان العامة نوعًا من التهكم على كبار السن رغم الحرص العام على قيمة احترام الكبير فى المجتمع ومن بين تلك الأمثال الشعبية:

- إذا شاخ الباز لعبت به العصافير.
- عجوز قرقوب ما تسوى خروب.
- إذا ريت اعجوز، اذكر الله وجوز[٤].

(١) المصدر السابق ورقة ٢٩٥ أ، ب.
(٢) المصدر السابق ورقة ٢٩٤ ب.
(٣) سعيد هبة الله: كتاب خلق الإنسان، ص ١٥٣.
(٤) الزجالى: أمثال العوام، ٢/ ٤، ١٢، ٣٧٧.

قائمة المصادر والمراجع

*المصادر العربية :

البرزلي : (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي) (ت ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م)

- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م، سبعة أجزاء.

ابن بشكوال: (أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الخزرجي الأنصاري) (٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)

- الصلة ، تحقيق إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ثلاثة أجزاء.

البكري:(ابو عبيد البكري) (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)

- المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من كتاب المسالك والممالك ،مكتبة المثنى ،بغداد ، د.ت

الجرسيفى : (عمر بن عثمان بن العباس)

- رسالة الجرسيفي في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥.

ابن الجزار القيرواني: (أبو جعفر أحمد بن إبراهيم أبي خالد القيرواني) (ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)

- كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم ،تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة ،ط٢،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،١٩٨٤.

الجزيري : (على بن يحيى) (ت ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م)

- المقصد المحمود فى تلخيص العقود، دراسة وتحقيق أسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد ١٩٩٨.

ابن الخطيب : (لسان الدين) (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

- الوصول لحفظ الصحة فى الفصول، ضمن موسوعة الطب والأطباء فى الأندلس (دراسة وتراجم ونصوص)، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، جزآن.
- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢.

ابن خلدون : (عبد الرحمن) **(ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)**

- المقـدمة، تحقيق درويش الجويدي ،المكتبة العصرية ،صيدا -بيروت ،١٩٩٥.

الزجالي: أبو يحي عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي) **(ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م)**

- أمثال العوام في الأندلس، مستخرجة من كتاب "ري الأوام ومرعي السوام في نكـت الخـواص والعوام"، تحقيـق وشرح ومقارنـة محمـد بـن شريفـة، منـشورات وزارة الدولـة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم، المملكة المغربية، د.ت، جزآن.

ابن الزيات: (ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي) **(٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)**

- التشوف الى رجال التصوف، ط٢، تحقيق احمد توفيق ،مطبعـة النجـاح الجديـدة، الـدار البيـضاء ،١٩٩٧م.

السقطي: (أبو عبد الله محمد بن أبى محمد السقطي المالقي الأندلسي)

- كتاب في آداب الحسبة، نـشره وترجمـه إلى الفرنـسية ج. س. كـولان وليفـي بروفنـسال، مكتبـة أرنست لوروا، باريس، ١٩٣١.

عريب بن سعيد القرطبي : (حيا أواخر الخلافة الأموية بالأندلس)

- كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين، مخطوط مصور ميكروفيلم عن نسخة مخطوطة ديـر الاسكوريال، تحت رقم ٢٢٧، مكتبة الاسكندرية.

ابن عذاري :(محمد بن محمد) **(ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م)**

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغـرب ،ط٢، تحقيـق ج.س كـولان وليفـي بروفنـسال ،دار الثقافة ،بيروت ،١٩٨٠

العقباني التلمساني: (أبو عبدالله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد) **(ت٨٧١ هـ/ ١٤٦٧م)**

- تحفة الناظر وغنية الـذاكر في حفـظ الـشعائر وتغيـير المنـاكر، نـشرة معهـد الدراسـات الـشرقية بدمشق، الجزء ١٩، ١٩٦٧.

القاضي عياض (القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي) **(ت٥٤٤هـ/ ١٢٥٩م)**

- ترتيب المدارك وتقريب المسلك لمعرفة اعلام مذهب مالك ،تحقيق محمـد بـن تاويـت الطنجـي، ط٢، وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ،المملكة المغربية

ابن القطان :(أبو محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك الكتامي) (منتصف ق٧هـ/ ١٣م)

- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ٱدراسـة وتعليـق وتحقيـق محمـود عـلى مكـى ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،١٩٩٠.

المالكي : (أبو بكر عبد الله بن محمد) **(ت ٤٧٤هـ/ ١٠٩٦م)**

- رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقيـة وزهـادهم ونـساكهم وسـير مـن أخبـارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمـد العـروسي المطـوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤، جزآن.

مؤلف مجهول: **(ق٦هـ/ ١٢م)**

- الاستبصار فى عجائب الامصار أنشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد ،الكويت ،١٩٨٥.

مؤلف مجهول:

- -رسالة فى تدبير المشايخ ،مخطوط مصوّر ١١٨ArabesNo Manuscritos موقع يوسف زيدان للمخطوطات .

المراكشي : (ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري الاوسي المراكشي)
(ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،١٩٨٤، ثمانية اجزاء.

ابن مرزوق: (أبو عبد الله محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني) **(ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م)**

- المسند الصحيح الحسن فى مآثر مولانا ابي الحسن ،دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ،تقديم محمود بوعياد ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،١٩٨٥.

المقدسي : (محمد بن أحمد المقدسي المعروف بالمقدسي البشاري) **(ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)**

- أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ،ط٣ ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،١٩٩١.

موسى الاسرائيلي القرطبي: (ابو عمران موسى بن ميمون الاسرائيلي القرطبي الشيخ الرئيس)
(ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤ م)

- شرح أسماء العقار ،تحقيق ماكس مايرهوف، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،٢٠٠٢م.

الوزان: (الحسن الوزان) **(ت ٩٥٦هـ/ ١٥٧٩م)**

- وصف إفريقية، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣، جزآن.

الونشريسي : (أبو العباس أحمد بن يحيى) **(ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)**

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، تخريج جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجى، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٩٨١، ١٣ جزء.
- المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق.

*المراجع العربية :

جليل بتاني :

- الطب النفسي الاولي بالمغرب ،ترجمة محمد إسليم ،مجلة فكر ونقد العدد ٢٩،مايو ٢٠٠٩، WWW ALJABIABED.NET

الحسين بو لقطيب :

- جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين ،منشورات الزمن ، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، ٢٠٠٢.

روي بوتر:

- موجز تاريخ الجنون ،ترجمة ناصر مصطفى أبو الهيجاء ،مراجعة أحمد خريس ،هيئة ابوظبي للثقافة والتراث (كلمة)، أبو ظبي ،٢٠١٢.

سرى سبع العيش:

- جراحة العين في التراث العربي الإسلامي ،مجلة التقدم العلمي ،العدد ٥٨،اكتوبر٢٠٠٧، www.eajaz

كلود كيتل :

- تاريخ الجنون من العصور القديمة حتى يومنا هذا ،ترجمة سارة رجائي يوسف وكريستينا سمير فكري ،مراجعة داليا الطوخي ،مؤسسة هنداوي ،القاهرة،٢٠١٥ .

*المراجع الاجنبية :

Herbert C. Covey:

- people with leprosy (Hansen's disease)during the middle ages ,The social Journal , vol ٣٨ ,٢٠٠١, pp٣١٥-٣٢١.

Jose Terencio:

- Historia de la lepra en Espana ,Historia de la dermatologia, Loca IZADOR Web,٢٠٠٥,pp٤٨٥-٤٩٧.

Joushua R. Eyler:

- Disability in the middle ages (reconsideration and reverberations),Ashgata, publishing limited,England-USA,٢٠١٠.

Lopez Ibertt:

- Actos espanolas de psiquiatria,٢٠٠٨, pp١-٩.

Michael .W. Dols:

- The leper in the medieval Islamic society ,speculum, published by medieval Islamic Academy of America,vol٥٨,No٤،١٩٨٣,pp٨٩٢-٩١٨.

Ruben D. Rumbant:

- The first psychiatric hospital of the western world ,the American Journal of psychiatry, vol١٢٨,No١٠،١٩٧٢,pp١٣٠٥-١٣٠٩.

S.M. Imamuddin:

- Maristan (hospitals in medieval Spain)Islamic studies Islamic research institute, international Islamic university , Islaabad,١٩٧٨.pp٤٥-٥٥.